خَلَقَ اللهُ...

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: تكوين ١-٣؛ أعمال الرسل ١٧: ٢٨؛ مزامير ١٤٨؛ مزامير ٢٤: ١؛ تكوين ٤: ١-٩؛ إنجيل متى ٢٢: ٣٧-٣٩؛ رؤيا يوحنا ١٤: ٧.

آية الحفظ: **«ظالم الفقير يُعيِّر خالقه، ويمجِّده راحِم المسكين» (أمثال ١٤: ٣١).**

هل سبق لك أن قُمت بصنع شيء ما — قطعة فنية أو حرفية، أو وجبة طعام، أو بعض الأشياء الإبداعية الأخرى، وإذا بك تجدها مُحطَّمة أو مرفوضة من قِبَل الشخص الذي أعطيتها له؟ إذا حدث ذلك معك، قد يكون لديك مجرد لمحة صغيرة عمَّا اختبره الله عندما خلق هذا العالم وأعطى الحياة للجنس البشري، عندها فقط رأى أنَّ ما قد خلقه حطَّمته الخطية.

يقول الكتاب المقدس أن العالم قد خُلِقَ بكل عناية، وقد خُلق «حسن جدًا». كان شعور الله ظاهرًا وجليًا عن خليقته كما ورد في سرد قصة الخليقة في تكوين ١، ٢. هذا هو السياق الذي ينبغي أن يكون لدينا ونحن نقرأ قصة السقوط في تكوين ٣ وحزن الله وهو يواجه الناس الذين خلقهم.

العجيب هو أنَّ عالمنا لا يزال موضع محبة الله، رغم آلاف السنين من الخطية والعنف والظلم والعصيان الفاضح. وما هو أكثر عجبًا، أنَّ الله في بدء تدبيره لفداء العالم وإعادة خلقه، فقد أعطانا، كمؤمنين، دورًا لنقوم به في تحقيق تدابيره الأوسع نطاقًا. نعم، نحن المتلقين لنعمته؛ ولكن، من النعمة التي تلقيناها، فقد أُعطينا العمل الذي علينا أن نعمله كعاملين مع إلهنا. يا لها من مسؤولية مهيبة ومقدَّسة!

* نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٦تموز (يوليو).

الله: لمحة عن الخليقة

هـذا العالـم وكل الحيـاة التـي عليـه، حياتنـا ذاتهـا وكل مـا نفعلـه بهـا- وجودنـا يبـدأ بـالله: «لأنَّنـا بـه نحيـا ونتحـرَّك ونوجد» (أعمـال الرسـل ١٧: ٢٨).

هنـا تبـدأ قصـة الكتـاب المقـدس: «فـي البـدء خلـق الله السـموات والأرض» (تكويـن ١: ١). وحقيقـة أنَّ الله تكلَّـم فخرجـت الأرض إلـى الوجـود، تُشـير إلـى قـوَّة وعمليـة لا نسـتطيع حتـى البـدء فـي تصوُّرهمـا.

ومـع ذلـك، فـالله لـم يخلـق عـن بُعـد؛ بـل كان مُنخرطًـا عـن كَثَـب وبشـكل وثيـق، خاصـة عنـد خلقـه الإنسـان الأول (انظـر تكويـن ٢: ٧).

اقـرأ قصـة خلـق الإنسـان الأول فـي تكويـن ١: ٢٦-٣١. مـا هـي الأشـياء المهمـة التـي تُخبرنـا بهـا هـذه القصـة عـن الله؟ مـا هـي الأشـياء المهمـة التـي تُخبرنـا بهـا عـن الناس؟

غالبًـا مـا يُقـال أنَّـه يمكننـا أن نتعلَّـم الكثيـر عـن الله عندمـا نقضـي وقتًـا فـي الطبيعـة، مـن النظـر إلـى خليقتـه، ورؤيـة ومضـات مـن صفـات الخالـق نفسـه فيهـا. ولكننـا نسـتطيع أيضًـا أن نـرى لمحـات مـن الطريقـة التـي خلـق بهـا الله العالـم ليكـون كمـا هـو عليـه، مـن خـلال فحصنـا لمفهومنـا عـن الله ذاتـه. مثـلًا، إذا كان الله هـو إلـه نظـام، علينـا أن نتوقـع العثـور علـى نظـامٍ فـي خليقتـه. أو إذا كنـا نؤمِـن بـأن الله هـو إلـه إبـداع، علينـا ألا نتعجَّـب إذا وجدنـا أمثلـة خارقـة لتلـك الإبداعـات فـي العالـم الـذي خلقـه.

وبالمثـل، نحـن نعتقـد بـأن الله هـو إلـه علاقـات، وهكـذا، نجـد العلاقـات كعنصـر جوهري فـي كيفيـة صياغـة الله للعالـم معًـا. لقـد خلـق كل عنصـر مـن عناصـر العالـم فـي علاقـة مـع بقيـة الخليقـة. لقـد خلـق الحيوانـات فـي علاقـة متناغمـة. وخلـق الجنـس البشـري فـي علاقـة معـه، ومـع أحدهـم الآخـر، ومـع باقـي الخليقـة.

مـع أن فهمنـا لله محـدود فـي كثيـر مـن النواحـي، فـإنَّ مـا نسـتطيع رؤيتـه مـن صفاتـه يجـب أن يحثنـا علـى إعـادة النظـر عـن الكيفيـة التـي يجـب أن يكـون العالـم بهـا.

مـا مـدى فائـدة فهمـك للعالـم إذ تـراه كانعـكاس لصفـات الله، حتـى مـع الدَّمـار والويـلات الظاهـرة بوضـوح بسـبب الخطيـة؟

عالم كامل

مـن السـهل الشـعور بالشـوق والحنيـن إلـى جنة عدن. هناك شـيء فـي الوصـف المختصر لِجَنّـة عـدن التـي خلقهـا الله كمسـكَن لآدم وحـواء يُشـعِل شـرارة الحنيـن والشـوق فـي قلوبنا. قـد لا نفهـم كيـف يمكـن أن يعمـل عالـم كهـذا، ولكننا نشـعر بأننـا نريـد أن نعيشـه ونختبره.

يبـدو أن الإحسـاس بالرضـا والكمـال هـو مـا شـعر بـه الله أيضًـا: «رأى الله كل مـا عملـه فـإذا هـو حسـن جـدًا» (تكويـن ١: ٣١). لقـد صنـع الله شـيئًا كان جميـلًا وعمليًـا أيضًـا. كان رائعًـا فـي تصميمـه، فـي شـكله وفاعليتـه. كان نابضًـا بالحيـاة واللـون، ولكنـه كان أيضًـا ممتلئًـا بـكل مـا هـو ضـروري لازدهـار الحيـاة. لا عجـب أن الله كان يقـف ليتأمَّـل بـأن هـذا العالـم الـذي كان يخلقـه كان حسـنًا جـدًا.

اقـرأ تكويـن ١. مـا الـذي تظـن بأنـه المقصود مـن تكـرار العبـارة «رأى الله أنه حسـن»؟ (انظـر تكوين ١: ٤، ١٠، ١٢، ١٨، ٢٥، ٣١).

مـع أنـه كُتِـبَ فـي مجملـه بعـد السـقوط، إلا أنَّ الكتـاب المقـدس ملـيء بالإشـادة والاحتفـاء بالعالـم الطبيعـي، كمـا فـي سـفر أيـوب والأصحاحـات مـن ٣٨ إلـى ٤١، وفـي مزمـور ١٤٨. وعلينـا أن نتذكَّـر أنَّ هـذه لـم تكتـب كلمحـات منسـوبة إلـى العالـم كمـا كان فـي بدايـة الخليقـة وقبـل الخطيـة؛ لقـد كُتِبَـت بصيغـة الحاضـر، احتفـالًا بالخيـر الـذي مـا زال واضحًـا وجليًـا فـي عالمنـا.

يسـوع، أيضًـا، اسـتخلص أمثلـة لصـلاح الله وعنايتـه مـن العالـم الطبيعـي (انظـر، علـى سـبيل المثـال، إنجيـل متـى ٦: ٢٦، ٢٨-٣٠)، مشـيدًا باتِّكالنـا علـى الله وتقديـر العطايا البسـيطة التـي تُحيطنـا بإعجـاب. إذا فتحنـا عيوننـا ونظرنـا إلـى عجائـب الخليقـة، يمكننـا أن نـرى بأننـا المتلقيـن فَعْـلاً للهبـات الرائعـة مـن خالقنـا. اسـتجابتنا، حتـى فـي خضـم التجـارب، يجـب أن تكـون اسـتجابة الشـكر، والامتنـان، والتسـليم المتواضـع لمانـح العطايـا والهبـات.

كأدفنتسـت سـبتيين — الذيـن يحتفلـون بالخليقـة ويتطلَّعـون إلـى مجـيء ملكـوت الله — علينـا أن نُـدرك أنَّ كل الجمـال والفـرح والخيـر الـذي نـراه ونعيشـه ونختبـره فـي العالـم مـا هـي إلا لمحـات لمـا كان عليـه عالمنـا ومـا سـيكون عليـه، مـرة أخـرى.

فـي اختبـارك للعالـم الطبيعـي، مـا الـذي تحمـل لـه تقديـرًا خاصًـا مـن عجائـب الخليقـة؟ فـي حياتـك اليوميـة، كيـف يمكنـك أن تعـرف الـرب معرفـة أفضـل مـن خـلال عجائـب العالـم الطبيعـي؟

وكلاء على الأرض

حسب ما ورد في سجِّلات الكتاب المقدس، كانت جنة عدن والأرض التي خُلقت حديثًا مَمْلُوءَتَيْنِ بالخير الوفير، مخلوقتين لتزدهر الحياة فيهما وبوجه خاص ليستمتع بهما الجنس البشري.

لكن الله أعطى أيضًا للرجل والمرأة الأولين — ولنا نحن الباقين الذين سنأتي بعدهم — دورًا ليقوما في خليقته. وسرعان ما أصبح من الواضح — ليس فقط من طريقته في الخليقة — أن آدم وحواء سيكون لهما مكانة خاصة في هذا العالم الجديد.

أوكل الله إلى آدم أولاً مهمة تسمية الحيوانات والطيور (انظر تكوين ٢: ١٩). بعد ذلك أُعطِيَ دورًا آخر، قُدِّم إليه كبركة من الله ذاته: « وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: ‹أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ› » (تكوين ١: ٢٨).

اقرأ وقارن بين تكوين ١: ٢٨ وتكوين ٢: ١٥. كيف يمكنك وصف التسمية الوظيفية (الوصف الوظيفي) للإنسان في جملة أو اثنتين؟

في التاريخ المسيحي، كثيرًا ما استُخدِمت الآية في تكوين ١: ٢٨ من قبل البعض كرخصة للاستغلال، حتى إلى درجة تدمير العالم الطبيعي. نعم، من الواضح أن العالم قد خُلق لأجل حياة الإنسان، ومصلحته، ومتعته. لكن مسؤولية الإنسان هي: «ليعملها ويحفظها» — حسب الكلمات الواردة في تكوين ٢: ١٥.

عندما نتكلم عن الوكالة، فإنَّ أول ما يتبادر إلى أذهاننا هو المال، لكنَّ الوصية الأولى المتعلقة بالوكالة في الكتاب المقدس هي أن نعتني بالأرض التي خلقها الله وعهد بها إلينا. إنَّ الأمر أو الوصية التي أُعطِيَت لآدم وحواء قد توقَّعت سلفًا أيضًا أنهما سيشاركان الأرض مع أبنائهما ومع الأجيال المتعاقبة في المستقبل. في الخطة الأصلية للعالم، سيستمر العالم المخلوق ليكون مصدرًا للحياة والخير والجمال لكل الخلائق البشرية، وسيكون لآدم وحواء دور كبير للعناية به.

الأرض مازالت للرب (انظر مزمور ٢٤: ١)، وما زلنا نحن مدعوين لنكون وكلاء لكل ما قد أعطاه الله لنا. ربما يمكننا أن نستخلص، أيضًا، أن مسؤولياتنا كوكلاء في عالم ساقط هي أعظم حتى من ذلك.

ما الذي يعنيه لك أن تكون وكيلاً عن الأرض اليوم، في عالم ساقط؟ كيف يجب أن يؤثر إدراكك لهذه المسؤولية في أسلوب عيشك وحياتك بشكلٍّ يومي؟

عالم مُحطَّم

شيء واحد أعطاه الله لآدم وحواء لم يعطه لأي مخلوق آخر على الأرض هو الحرية الأخلاقية (الأدبية أو العقلانية). كان كلاهما كائنين أخلاقيين (أدبيين) في مجالات لا يمكن أن تكون لدى النباتات أو الحيوانات أو الأشجار. لقد قدَّر الله هذه الحرية الأخلاقية كثيرًا إلى حدٍّ أنه سمح بإمكانية أن يختار شعبه عدم الطاعة والعصيان. بفعله ذلك، فقد وضع هناك فرصة لخسارة كل ما خلقه في سبيل الهدف الأسمى ألا وهو أن تكون له علاقة مع خلائقه البشرية أساسها المحبة وحرية الإرادة.

ولكن كان هناك أيضًا مُدمِّرٌ (فهذه الحرية الأخلاقية موجودة، أيضًا، لدى الملائكة)، أراد تعطيل وتشويش عالم الصلاح والكمال الذي خلقه الله، وسعى لاستخدام خليقة الله الخاصة على الأرض — الجنس البشري — ليحقق ذلك. من خلال نطقه عن طريق الحية، شكَّك الشيطان في كمال وكفاية ما وفَّره الله (انظر تكوين ٣: ١-٥). إنَّ التجربة الأساسية كانت لاشتهاء أكثر مما قدمه الله لهما، وللتشكيك في صلاح الله، ولاعتمادهما على نفسيهما.

وبذلك الاختيار وذلك الفعل، فإنَّ العلاقات التي كانت مُتمِّمة ومُكمِّلة للخليقة كما قصدها وصمَّمها الله قد انفصمت وتحطَّمت. لم يعد آدم وحواء يتمتعان بالعلاقة التي خُلِقا عليها (انظر تكوين ٣: ٨-١٠). أدرك هذان الكائنان البشريان فجأة بأنهما عريانان وأنهما خَجِلان، وأن علاقتهما الواحد مع الآخر قد تغيرت تغييرًا غير قابل للإصلاح. وعلاقتهما مع باقي الأرض قد توتَّرت أيضًا وتحطَّمت.

اقرأ تكوين ٣: ١٦-١٩. ما الذي تخبرنا به هذه الآيات عن العلاقات التي تغيرت بين الجنس البشري والعالم الطبيعي؟

بسبب واقع وحقيقة الخطية، أصبحت الحياة فجأة بالنسبة لآدم وحواء وباقي الخليقة أكثر صعوبة. إنَّ عواقب الخطية حقيقية، خاصة في تأثيرها على البشرية وعلى علاقاتنا. وبمفهومٍ آخر، نحن بعيدون عن الله خالقنا. عائلاتنا أيضًا تأثرت في نواح كثيرة، وعلاقاتنا مع الآخرين لطالما فيها تحديات. إننا نتصارع حتى في علاقتنا مع البيئة الطبيعية والعالم الذي نعيش فيه. إن كل أوجه حياتنا وعلاقاتنا وعالمنا تُظهر التحطم الذي سببته الخطية.

ولكن الله لم يخلق العالم ليكون على ما هو عليه الآن. ‹اللعنات› الواردة في تكوين ٣ تأتي متلازمة أيضًا مع وعد بأن الله سيصنع طريقًا لإعادة خلق عالمنا ولإصلاح العلاقات التي حطمتها الخطية. وبينما نواصل صراعنا مع الخطية وآثارها في حياتنا، نحن مدعوون لندعم صلاح العالم الأصلي ولنسعى أن نحيا في حياتنا وفقًا لخطة الله لهذا العالم.

شبكة العائلة البشرية

مع وصول الخطية، لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا ليزداد العالم انهيارًا. فالجريمة الأولى التي تورط فيها أول أخوين أشعلتها شرارة الغيرة والحسد وسوء الفهم والغضب. وعندما سأل الله قايين عن خطيته، كان رده تهكميًا واستعلائيًّا — «أحارس أنا لأخي؟» (تكوين ٤: ٩) — والجواب الضمني لسؤال الله المبدئي كان: «نعم، قطعًا، أنت حارس لأخيك.»

اقرأ أمثال ٢٢: ٢. ما الذي تنطوي عليه هذه العبارة التي تبدو أنها بسيطة؟ ما الذي تخبرنا به عن علاقتنا برفقائنا من الجنس البشري؟

كل شخص نقابله هو واحد من خلائق الله، خُلِقَ على صورته، وجزء من شبكة العلاقات التي تربطنا جميعًا في خليقة الله، مهما كان بها من شروخ أو كسور. «إنّنا جميعاً مرتبطون معاً في نسيج الإنسانية. فالشرّ الذي يحيق بأي جزء من الأخوَّة البشريّة العظيمة يجلب الخطر على الجميع» (روح النبوة، خدمة الشفاء؛ صفحة ٢٤٩). شئنا أَمْ أبينا، بسبب حلقة الوصل هذه، لدينا مسؤولية إلهية (مُعطاة إلينا من الله) نحو الله ونحو الآخرين (انظر إنجيل متى ٢٢: ٣٧-٣٩).

إن الادعاء بأن الله هو خالقنا يتكرر ظهوره عبر كل الكتاب المقدس. مثلًا، إنه أحد الأسباب المعطاة لذكر يوم السبت (انظر خروج ٢٠: ١١) وللسجود لله عند نهاية الزمان (انظر رؤيا يوحنا ١٤: ٧). وهو أيضًا محفِّز أساسي للاهتمام بالآخرين، ولإعانة مَن هم أقل حظًا.

نحن جميعًا مرتبطون بأصولنا المشتركة في الله. «ظالم الفقير يُعيِّر خالقه، ويُمجِّده راحِم المسكين» (أمثال ١٤: ٣١). هل يمكن أن يكون ذلك الارتباط أكثر وضوحًا؟

الله كخالقنا له حق علينا يتطلب حياتنا بأكملها، بما في ذلك عبادتنا وخدمتنا واهتمامنا بالآخرين. ومهما كان ذلك شاقًّا ومحبطًا وغير مُريح أحيانًا، فإنّ كل واحد منّا هو ، بالتأكيد، «حارسٌ» لأخيه.

لماذا تعتقد أن حق الله علينا كخالق لنا يظهر تكرارًا في الكتاب المقدس؟ لماذا هذا مهم جدًا، وكيف يجب أن تؤثر هذه الحقيقة في كيفية معاملتنا للآخرين؟

الجمعة

٥ تموز (يوليو)

لمزيد من الدرس: اقرأ لروح النبوة، من الفصل الذي بعنوان «الخلق»، صفحة ٢٤-٣٢ من كتاب الآباء والأنبياء.

« ‹الله محبة›... طبيعته وشريعته هي المحبة. كانت كذلك دائمًا، وستظل كذلك أبدًا، فإن ‹العلي المرتفع ساكن الأبد› الذي ‹مسالك الأزل له›، ‹ليس عنده تغيير ولا ظل دوران›... « كل مظهر من مظاهر قدرته الخالقة هو تعبير عن محبته غير المحدودة، وسلطانه في ملكوته يشمل ملء البركة لجميع خلائقه » (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٣٣).

« لو قام الناس بواجبهم كوكلاء أمناء على بركات ربِّهم، لن يكون هناك صراخ طلبًا للخبز، ولا من يقاسون الفقر المدقع، ولا عريان أو معوز. إنها عدم أمانة الإنسان هي التي تجلب حالة العذاب والمعاناة التي تنغمس فيها البشرية... لقد جعل الله أن يكون الناس وكلاء له، ولن يكون هو المسؤول عن المعاناة والبؤس والعري والعوز في البشرية. لقد أعدَّ الله ما يكفي لحاجة الجميع » (روح النبوة، الخدمة المجتمعية، صفحة ١٦).

أسئلة للنقاش

١. تمعَّن جيدًا في الفقرة الأخيرة من روح النبوة. ما الذي تقوله الفقرة؟ من تقول أنه هو المسؤول النهائي عن كثير من الفقر الذي نراه؟ ما الذي يجب أن يقوله لنا هذا عن أهمية الوكيل الأمين؟

٢. بعد آلافٍ من سنوات التدمير التي سببتها الخطية، كيف لا يزال باستطاعتنا أن نرى خيرات الطبيعة؟ كأناسٍ نؤمن بالله الخالق، كيف يمكننا أن نساعد الآخرين ليروا الخير في خليقته؟

٣. ما الذي تفهمه من كلمة الوكالة؟ هل وجدت شيئًا في درس هذا الأسبوع وسَّع إدراكك فيما يتعلَّق بأن تكون وكيلاً، خاصة ونحن مدعوون من الله؟

٤. لو كان لنا أن نرى علامة على كل شخص نقابله تذكرنا بأنَّ هذا الشخص هو ‹خليقة الله، مخلوق على صورته، ومحبوب من الله›، كيف يمكن أن يُغيِّر ذلك طريقة تواصلنا وتعاملنا مع الآخرين؟

ملخص: خلق الله عالمًا كاملاً وحسنًا، وعيَّن الجنس البشري، المخلوقين على صورته، ‹ليعمل ويحفظ› خليقته (تكوين ٢: ١٥). ومع أن الخطية هشَّمت العلاقات التي قصد الله أصلا أن يبقيها بيننا، فما زال لدينا دور لنلعبه كوكلاء على بركات الخليقة ووكلاء للاهتمام برفقائنا من الجنس البشري. وتحقيق هذا الدور هو أحد الطرق التي بها نستطيع أن نكرم الله كخالق لنا.